المحاضرة الثالثة

العلاقة بين العلماء والأمراء في الجزائر(المغرب الأوسط) خلال ق9هـ:

يمكن أن نصنف العلماء وعلاقتهم بالحكام والسلاطين في فترة القرن التاسع الهجري(15م) إلى ثلاثة أقسام، فالقسم الأول اختار الابتعاد عن الأمراء وعدم الاتصال بهم، بل الهجرة من دار السلطان إن اقتضى الأمر، والقسم الثاني اختار التقرب من الحكام، وذلك بمدحهم والثناء عليهم، طمعا في مال أو جاه، وقسم ثالث اختار حياة العزلة والابتعاد عن الأمراء واللجوء إلى الزهد والتصوف.

فمن القسم الأول، نذكر العالم أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي بمدينة تلمسان، فقد كان قوّالا للحق لا تأخذه في الله لومة لائم، فغضب عليه السلطان أبو ثابت الزياني، وأمر بنهب داره، فهرب إلى مدينة فاس سنة 874هـ[1]، أما الشيخ عبد الكريم المغيلي بتلمسان، فقد لاحظ خروج الأمراء عن الأمور الإسلامية، وانشغالهم بحياة اللهو، وانغماسهم في الملذات، فضاقت نفسه من العيش في وسطهم، وبالتالي قرّر الهجرة، فغادر تلمسان التي كانت تعرف أحوالا مضطربة، وذلك بسبب ظلم حكامها وفساد اليهود، ومما زاد من ألم ووجع المغيلي هو ضعف العلماء، وعدم قدرتهم على تغيير المنكر[2].

ونتيجة للفساد السياسي الذي كان يسود البلاد، لأن العرش الزياني أصبح معروفا بانحلاله الأخلاقي[3]، لذلك اختار الشيخ المغيلي الهجرة إلى بلاد توات بالجنوب

---

[1] التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص.135، أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب** ، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية 1401هـ/ 1981م، ج1، ص ص. 87- 88، أبو عبد الله محمد بن مريم التلمساني، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، المطبعة الثعالبية، الجزائر،، 1908م/1336هـ، ص.53.

[2] عبد الله مقلاتي، محفوظ رموم، **دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية** ، ط.1، دار الشروق، الجزائر، 2009م، ص.74.

[3] يحيى بوعزيز، **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية**، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص.64.

الغربي الجزائري، حيث وصل إليها في حدود عام 1479م/ 844هـ، واستقر ببعض الوقت لدى أولاد يعقوب[4].

ومن الصنف الثاني، نذكر أبو عبد الله محمد التنسي، الذي مدح السلطان الزياني محمد المتوكل، وألف كتابا يمدح فيه هذا الأخير على وجه الخصوص وبني زيان على وجه العموم، وسماه(نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان) والواضح أن هدف التنسي من كتابه هذا هو التقرب من الأمير المتوكل بإظهار مكانة بني زيان في التاريخ وفي النسب والآثار، ولذلك مدح الأمير وبرهن على شرف أسلافه وأبرز مدى مساهمتهم في الحضارة ونفوذ دولتهم مبتدى بتاريخ إنشائها، ومنتهيا بالأمير الممدوح[5].

أما الحوضي العالم الأصولي الشاعر الفقيه التلمساني، فقد مدح السلطان الزياني أبو عبد الله محمد السابع بن أبي ثابت الثاني بقصيدة مطلعها:

أصبح المزن من عطائك يحكي يوم الاثنين للأنام عطاء [6]

أما الصنف الثالث، فنذكر العالم عبد الرحمان الثعالبي في مدينة الجزائر، الذي درس أحوال العصر، وتنقل بين عواصم العالم الاسلامي، ونهل من علوم وقته، ومع ذلك كان أمام عدة حلول، أن يعلن الثورة على الأوضاع كما فعل المغيلي، أو أن يعتزل الناس جميعا بمن فيهم من أمراء وسوقة، ونحن نجده قد اختار الحل الأخير، وقد أشاد هو بالذين لا يعرفون الأمراء ولا يخالطونهم، وكثير هم العلماء الذين

---

[4] مقلاتي، رموم، مرجع سابق، ص.74.

[5] بوعيني سهام " **أبو عبد الله التنسي وكتابه نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان**" ماجستير، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران(الجزائر)، 2008/ 2009م، ص.66.

[6] ابن مريم، **البستان**، ص.199.

اختاروا هذا الطريق، ومنهم تلميذاه محمد بن يوسف السنوسي وأحمد بن عبد الله الجزائري[7].

[7] سعد الله، **تاريخ الجزائر**، ج.1، ص.57.